

الكتـــاب الأول

يستلقي على دفء الصدف

شعر

عطية حسن

المجلس الأعلى للثقافة

يستلقي على دفء الصدف

المجلس الأعلى للثقافة

الكتاب الأول

يستلقي على دفء الصدف

شعر

عطية حسن



١٩٩٦

سكرتير التحرير / منتصر القفاش

صبــــارة

وردة

الأحمر المذبوح
يسقط ملتهباً
بينما الصبار ينمو مرتعداً
فى تفاحة آدم .

صبـــارة

رأسُ جندى
كأنها نخلة مقطوعة
على امتداد حلم متأخر .

وها هو البرئ ثانية
يستيقظُ
والجنازات تمر
والأغانى تُغلق فى بطن صبارة .

هناك طفل يرى

لن أرسمَ هذا اليوم بطة
ولن أكتبَ شيئاً فى كراستى
ولن أصيحَ قارصاً خدَّ صديقتى
فقد جاءتْ الطائرات
ولمعتْ فى البعيد القاصى
خوذة حديدية .

ورقة ليمون

يستيقظُ الحطاب
بينما الصبيُّ يحتلم .

ثديان
يمشّطان شَعر صدري عالياً
مثل طفلة تشُبُّ فوق جذعها
تريدُ برتقالة .

عمر جديد

خطوةٌ
إلى امرأة مستلقية
فى زجاج يتأوّه .

لكن الشتاء أقبل
جاء وراء حلمها النقى
فأغرورق قلبها اليابس
بنصف قطرة دم .

الـكفـــن

إلى الشهيد عاطف على دنيا

رأسه الذهبية ماتت
لكن اصبعه الصغيرة
كانت ترسمُ فى الدخان حوله
هلالاً مستديرا .

وعندما جمعتُ أشلاءه الصغيره

كان يريد أن ينهض
ويحشو فمى بكلمات الوداع
إلى حبيبته .

عيناه كانتا تسرعان إلى جسده الهادىء
فى احمراره الأسود
بينما الرمالُ صنعتْ حوله
كوماً مستطيلاً
وقطرة ندى .

إلى الشهيد
ملازم صلاح عبد الجواد

عندما انطلقتُ دونه وحيداً
تائهاً
كان وجهي المليء بالحصى
يراقُ حوله
وكان كل شبر في تعثري
يتمرّغُ حوله
وكنت جائعاً لليل
جائعاً للموت في حوضه المختوم
وللهواء في بريقه المنطفيء .

لكننى أراك مرموقاً
مشبّعاً بالندى
والمساء
والتراب
أراك مرسوماً فى ظلال الطائر على الأرض
ونصف وجهك المفقود
يقودنى للصلاة
والحلم
والبكارات
ويعدو آتيا منتعشاً كأنه هلال .

أمس
قرأتُ لك الفاتحه
وعدتُ واجفاً إلى خوذتك المبعثرة فى الرمال
ونائماً فى عينيك
لكنى الآن
أعودُ ثائراً
حالماً
كأننى تبة صغيره

موت طائر

دائرتان عند أطراف طائر
وعيناى تشّقان النهر
والنهر مستسلم
وفى آخر الشطوط ظلى
يقف منتظراً .

يسقطُ الطائر من سحابه
ولم تمنح حبيبتى بصرها للنوارات التى
تفتحتْ واقتحمتْ صدر النهر
مثلما أقتحمُ جسدها باغترابى ودهشتى
ونامتْ ساهره .

نمتُ بحلم يبللُ أطرافى
وفى الصباح
كان الصبيَةُ يغلقون دائرة حول طائر نهرى
أطفأتْ جناحيه ابتسامه
حين أشعلتُ للنائمة جوارى جسداً
ثم ورده
وقمراً وأمسيه .

الاسماعيلية ١٩٧٤

تمثال نصفى
لطائر الوروار

جئت لألقى ناراً على الأرض

« انجيل لوقا »

– ١ –

أنسى فى كفِّكِ الصغيرة

رعشة كفى التى خالطت البارود والدم

وبرودة الشواهد الرخامية .

في الصباح
ووجهك ينطقُ
يمشّطُ شَعرى ويضعُ لفمى الكلمة الأخيره
ويجمعُ صوتى فى آنية ورد
أضعُ حول خصركِ سحابة هذا اليوم الممطر
أعطيكِ حلم أمس
والوجوه النقية التى تصنعُ الأيقونات وعقود
الفل والرايات البيضاء والأنامل التى تقودُ
النسيم واللبلاب للنوافذ .

– ٢ –

وجهى ورقةٌ
تسقطُ للغرباءِ
وبلادى أغنيةُ فوق محطةٍ منسيه
تترددُ فى أفواه المارة
والأطفال .

أحلِّقُ

وجهى بحرٌ

جناحاى أيقونه ورياح

وصباح

لم تصدرْ فيه الشمس

باللغة الوطنيه :

وفى المساء
مزقتُ على صفحات الجرائد لهاثى وغربتى
نمتُ يتماً خائفاً
يائساً مثل شجرة صغيره
تدسُ أنفها فى السنابل .

- ٣ -

اعطنى وجهاً
واحداً . . .
. . . .
أريدُ أن أقول
إن هذه الملاءات الملونه
لم تعطنى دفئاً
أو حصاداً
أريدُ صوتاً يثقبُ الحلم حولى .

العصفورُ حديقةٌ
النافذةُ عاشقان
ألمح ثوبكِ الأسود غزالة حُبلى
ومن عينيكِ تسيل ألوان الزهر وعباءة الليل .
تقومين
منفرطة كالعقد
ذاهلة
وبين فخذيكِ العاريتين يتراءى تمثال
نصفى للحلم والحقيقة ، والانحدار .

– ٤ –

صوتى دورق دمع
تخرجين منه عارية
موشومة
منقطعة الأنفاس
كالريح .

فى حلمى الأخير وأنفاسك تتبعنى
رأيتُ فى ثدييكِ وشماً ينهضُ
يرفرفُ مبتعداً مع رائحة الليمون
والملابس الداخلية
ورأيتكِ نائمة
طفلةً فى سريرى
تحملُ فى تقلبها سعف النخل
وسنابل الشعير .

- ٥ -

تظهرُ النوافذُ المقوسة مثل نصف قمر
أو نصف رغيف

ومن بعيد على زجاج متكسر
جلس وجهكِ يقتلُ الوقت
ويعلنُ مجيىء الشتاء والمواسم التى أبدو فيها سائلاً
كالأجنّة وملتهباً كامتداد قبضة اليد فى الحلم .

هنا
أرتجفُ
أتمتمُ جازعاً
ألفُّ جسدى بجماجم النيون
أمدُ رأسى للنوافذ والأقمار التى سالتْ زرقتها على الزجاج
أروح . . أجىء
فى انتظار أن تفتحَ وجهى مرايا الصباح .

- ٦ -

من علامات الطرق

قف .

ممنوع التجول .

ألغام .

اتجه يميناً .

ممنوع عبور المشاه .

إلى المقابر .

إلى النصب التذكارى .

وعندما أردتُ أن أقودَ حبيبتى إلى الحديقة

أوقفنا الشرطى .

الجديد فى هذا النهار

أغلقتُ عينّى وابتسمتُ

كتبتُ على حواشى الصحف

« الواحدة ظهراً . .

ولم تزلْ حبيبتى نائمة » .

الاسماعيلية ١٩٧٥

كنت لها

كانت السماء ترقبنى وأنا أمضى غاضباً
تسقطُ الأحلام منى
ويحتشد ورائى فيضٌ من المرارات والآلهة .

كنت أسيرُ مترنّحاً كنهر فقد ضفتيه .
أمزقُ السحابَ بقبضتى
وأرقصُ مجذوباً فى هلال الأفق .

خرجتْ البنتُ من عينّى

فانوساً مشتعلاً بالنخيل والمياه والكتابة

كانت ترافقنى إلى مذارى القمح

حيث تسيلُ ضفائرها مع الجداول الصغيره

وتنفرطُ رعشتها مع اللبلاب

ويختلجُ دمها فى يدى

كان وجهى يتلألأ على فخذها العارى

وأنا اتهيأ للدخول فى رضوانها الحميم

حيث تتعلق طيورها بصدرى

ويتفتقُ مواؤها

عن سبعة عشر من الأيدى .

الجـبل

أتوقعُ أن تأتى عارية
مقلوبة
على ظهر جواد .

فكرتُ أن أرفعَ السحابة على قدمىَّ
فكرتُ أن أستشيركِ فى طريقة جديدة للحب
والصحو مبكراً
فى نور الأصداف .

أبحثُ فى ضوء سيجارتى عن وطنى
« قف . . من أنت ؟
تقدم . . »
اتقدمُ نحو النجم القطبى
بجواز سفر مزوّر .

أسمعُ صوتاً يسقطُ فى أذنى
فهناك حكاية يرويها جندى
للحجر النائم .

الاسماعيلية ١٩٧٦

قصيدة لها

يلتصقُ النهار فى وجهها
مثل حقل من الخوخ والتماثيل .

عيونها تبحثُ فى الحجارة عن قمر
وحلمها الجميل يجلسُ فى أنوية الزيتون
ودمها يتشقق
مثل تفاحة مريضه .

يدها فى يدى
كعصفور يدخلُ قواقع الملح
ويخرجُ مخموراً
وصوتها المنقوش على الأساور والمسلات الفرعونية
يتدلى مهتاجاً مثل ثور أسبانى
ويرقدُ مثل منديل من الياسمين .
فمها فوق النهر
قوارب منتظرة
ورأسها يصعد فوق صدرى
كأسراب من القمح والأناجيل .

قنا ١٩٧٨

الى الشهيدة دلال المغربى

رأيتُ وجهها فى جرائد الصباح
تمشى خلفه البنادق
وعَسس العسكر والعملاء
الحاخامات
والكلاب البوليسيه .

دمها مفتوح للسم والرصاص
ولاشىء فى رأسها خائف
لا الزهر
ولا المصابيح الزيتيه .

وها أنتِ جثة بلا وطن
وبلاشاهد
تنظرين موتك الأبيض
الذى تناقلته الصحف والنشرات الإخباريه
بعيون لايغلقها الرصاص
ولاتحتلها المدافن
تنظرين لنا
لعيوننا الزجاجية المهشمه
نحن الثكلى
المسروقين
نحن الذين نترك وجوهنا بعيداً
فوق الأرصفه
وفى المخادع الزوجيه
وعلى أغلفة النوافذ والحانات
بعيداً . . .
وعن مرمى البنادق .

قنا ١٩٧٨

الشعر
فى الواحدة ظهرا

- ١ -

الوقت فى ذاكرتى
ختان رجل
صوت مذبوح فى زجاجات الخمر
الكوكاكولا
الأدوية
النظارات
صوت بكائىٌ لايمشَّط .

مزارات كثيرة
ضريح جلس قرب أرملة
صبارة تردُّ السلام
وردة تتشاجر
آيات قرآنية تعدلّ وضع الميت
شواهد جلستْ فى حِجْر غلام .

– ٢ –

رأيتُها
حبيبةً تحت أنفى
واقفةً على أبواب رأسى
تسألُ عنى البئر والصخره
وتجىء نحوى مبتسمةً بالصراخ والدموع
أجلسُ اليها
أنقشُ على شفتيها التى تشبه الضوضاء أو المنتحر
أو كهف ورد
أو مثل جدول ماء يدخل فى الكآبة
أنقشُ صوتى الأزرق
الذى تأتى به الريح للأشجار
على جناح الرمل

راقدةً فى حجرتها
كالسماء الصافية التى تصنعُ الخبز للنملات
وتكتبُ شعراً للزغب النائم فى وجه الطائر
راقدةً فى عُريها على عراء صدرى الغارق فى اليقظة
حيث حلمتُ بما شئت
بمطاردة النهر للنوارس
بالشتاء المُحمَّلِ فى القوارب
بحصان يرمحُ فى وريدى.
حيث حلمتُ برأس يهوى من ذاكراتى
ففتحتُ وجهى مرتين
كى أصحو
أو أصرخ .

تمشين فى طريقى
كالنوط الذهبى للشهيد .
دمكِ يجتاز النهر حافياً ومخموراً
كحيوان مستسلم للزهرة التى
ترقدُ على ظهره
فى سرج من رصاص .

ليل مفتوح كالبحر
يغلِقُ خلفى الشهور
القمر والكآبة
صرخةً من تراب
عيوناً لها وجه الصَدَفه
ونور الدخان .

لاأعود لك ولاتعودى لى
فقد مزقوا ذا كرة الليمونة عندما رأتْ
شبح القمر فى النوافذ
وتركوها تبكى فى المستشفيات .

- ٤ -

هذا الوقت
قصاصة ورق ملون
بين السيف الذى يحجبُ الرؤيا
وبين نوافذ القمر .

وضعنى فوق ظهر دمعة
ثم عاودنى
عاماً
بعد عامٍ
وكلمةً كلمه
ولم يزلْ خلف أُذنى
يَصُفُّ العظامَ
ويرسمُ الحناجر التى تُشرفُ على مدينته
فى دفاتره السوداء
ويبدؤنى السلام
ملوّحاً بحربته .

فوق الرابية
يقفُ « معاويةُ » والشمس فى ظهره
يسألُ الحسين عن هويته
والشام فى فراشه عارية
يلَوُحُ فى صدرها « يزيد » والرأس فى جرابه
والنعلان
والمساجد التى تسقط بعد آذان العشاء
فى جيوب العَسس
وتحت أرداف الجوارى والغلمان .

- ٥ -

وردٌ طالعٌ
فى نافذتى المبتلة بالجير الأزرق
النائم .

أدخلتُ صوتَ فى الناقة فى الحجر
وصوتَ الفراشات فى نشرة إخبارية
أرشدتُ النهرَ إلى عنوان الصبارة
حيث تجلسُ وحيدة
تقرأُ طالع الموت
وترقمُ الحلم والميادين
فى تسلسل سرىّ .

أُقيمُ الليل
أُقعدهُ
أتوهَجُ كالموت فى شرفتى
حيث يكون حوضى مزدحماً بالعواء والزمجره
ويصير القمرُ وجهاً زنجياً
وأناشيداً لاتغتفر
لامرأة تمرُ فى وريدى مرور السم والأسابيع
مرور السحر والجثث
مرور الدم فى المكاحل

- ٦ -

الارضُ عصفورٌ واحدٌ
يضيقُ بى .
الأرضُ ليست نهاراً يولدُ فيه الحب
وتولدُ الأنهارٍ
إنها رصاصة وجثه
وطفل تلفظة الحدائق العامة من جوفها
يتيماً
عجوزاً ماسخاً كرائحة الأنف .

« عيون مغلقه ـ شواهد ـ نياشين ذهبية وأحذية سوداء لامعة تنظر إلينا ـ نساء ينتظرن رجالاً فى الشق المفروشة والنوادى وصالات القمار ونواصى الشوارع .
وفى الأضرحة والمقابر–رجال ينتظرون نساء من خلف زجاجات الخمر ودخان السجائر ونوافذ المستشفيات .. »
حلم يسير فى اتجاه واحد ولايتوقف
ونحن هنا
نهر لايستعيدُ نفسه
سماء تحطُّ فى المهد وتطلقُ النار والطاعون فى حلمه
كل أم
أغثنى
ليلُ فوقىَ
وبلاد تبصق حولى صحفاً ومواخيرَ وقبوراً مجهولة للجند
ومصانع للزهر وللقتل
وأعضاء جلدية للحب .

- ٧ -

هى

حديقةٌ

أنظرُ حولها بعيون مزدحمة بالكتابة

والرغبة فى القتل .

تخرجُ مع الشمس منْ تفاحة آدم

لاتوقفها دهشة أويعترضها جندى

هى مُهرة تملأ الرمال

وكتابة سحرية على عُرف هدهد .

هى الآن نائمة

ووجهى يقفُ خارج المرآيا

دافىء الملامح

مصبوغاً بجنازات لاتتلاشى

وخلفي محارة تبكى

وسراب يفتحُ النوافذ

ليقابل طيوره المغردة .

- ٨ -

أخرجُ من بيتى
متاحاً .

أزيّفُ نفسى
بين حطام موسيقى الراديو
والصحف اليومية
وتبادل السجائر والمجاملات
وحكايات تتنفس فى الحجرة
عن حرب قادمه
أو صلح يأتى
عرس يدنو
حب
عشق الجاره

أتكلم عن كرة القدم والأوكازيون والطاولة وزميلة عملى الجميلة وفيلم السهرة والتأمين والأحزاب والمدينة الحرة والمصارعة الحرة وجبهات الرفض . . .

وأخرج مثل طائر مقلوب

أُطلقُ نفسى فى دورة المياه

وأَفقدُ رغبتى للخبز والفوضى والحلم والكلمات

أفقدُ رغبتى للنوم واحتضان امرأة

أفقدُ أسمى وصحتى

والبلاد التى أتيتُ إليها .

اليومُ أتى
والحجرُ يحدّقُ
وأنا أغامرُ كالسحابة عندما تصير تفاحاً
وأكتبُ مذكرات نومى
« . . حلم يتفرّسُ لحظة فى وجهى
ثم يفارقّنى
ثملاً بهياً عتياً غامضاً
مثل كراسات السحر وصوارى القراصنة
مثل حجر يحيض . . . »

- ٩ -

أبحثُ هذه الليلة
عن وجهكِ المفقود
بين المدفن والنوارة التى تمشى وحيده .

عُدْ لي
متعباً
أنيقاً
مثل جنازة وحيده
لم تمش فيها دمعه
أو ينهض فيها صوت .

أنتظركِ
ونهار يسبقنى للمدفن
لسيارة
للمقهى

لشراءِ الخبز
وطعنةٌ تقفُ خلفى فى الصف
وعيونٌ تكتبُ لى
تتهجاكَ
تبنى بيتاً شفوياً
يهمسُ لى فى الليل
يُخفى ذكراتى فى صدره .

لم تكونى أيّة امرأة
تصحين مبكراً
وتصنعين لى الشاى باللبن
وتنامينَ جوارى وأنا أُشعلُ ثائرة العالم
وأصفّفُ لكِ شعَرك
وأعلمُكِ الكتَاب والحَكمة
والسلاَم الذى لم يجىء .

قنا فبراير ١٩٧٨

امـرأة

قلتُ لها اهبطى فى خيمتى
هبطتْ
سميتُها بئراً
سمتنِي سحابة
أورقتُ لها
أورقتْ لى
انحدرت نحوى قمراً وخمراً وزخارف أخرى
قاتلتْ معى
أبصرتُها تقلبُ النهرَ على ظهره
رأيتُ ثدْيَها يراهقُ فى يدى
ويركضُ خلفَ العشبِ والـجاموس
ويرجع مختالاً كأنه منشور سرى

رأيتُ لها فقه الشجره
ورِقّةَ الخيول
عاقرتُها
عاقرتنى
وعندما ارتعشتُ فيها أطلقتْ حولى المباخر
والبسملاتِ الملونه
أخذتنى إلى ضفتيها وعلمتنى كيف أبدو كالحديقة
ومزيداً من الطيور
طاردتنى من الصمت الى الدهشه
ومن مدينةٍ إلى معتقل
كتبتْ عنى إلى الأسابيعِ وزهرة الحناء المستطيلة
توهجتْ لى
لملمتْ حولى ضفائرَها ومعاجينَها
ودَمها المفتول
بالطلاسمِ المؤنثه .

قنا ١٩٨٥م

نافــذة

فى النافذة المقابلة
امرأةٌ تتعرى .
كومتْ ملابسها الداخلية ورائحتها
على السرير البارد
وألفتْ ظلَها المرتعش
للشمسِ التى وقفتْ على حافة النافذه
تحدِّق
فى ملوحتها الفاتنه .

فى يدها اليمنى سيجارةٌ مشتعله
وفى اليسرى كأسُ خمر
لفّها زجاجُ النافذة الملون
بغشاء من الشهوة
وقطرات من العنب .
كان ضوءُ إبِطِها يتوقدُ
كلما شدّتْ نهَديْها فى فضاء الغرفة
وانفجرَ شعرُها فى السماء .

قنا - ١٩٨٧

مالك الحزين

كانِ يبنى فضاءً من الحجبِ
ويُرسلُ رائحتَه الى الغصونِ
ويملأُ رئتيه بحمحمات النهر
كان يمدُ إلى السماء قوساً عضلياً
ثم يشهقُ
ويصرخُ منتشياً
كأنه بئر محمومه .

رأيته مجذوباً كدرويش
يتناغمُ فى الندى
ويقفزُ مع الأبطال من جدول إلى جدول
وينشر شريطاً مهتاجاً من الغوايات
على رأس برتقالة .
رأيتهُ يزيحُ ظلَّهُ الأرضى
ويملأ الصمتَ ناراً وثقوباً
رأيتُ وجههُ يستديرُ على النوافذِ المبعثرةِ فى الغروب
ويرحلُ
على سحابةٍ مهاجره .

ثَمَّةَ ريح تغنى له
ثَمَّةَ قطرةٌ وحيدةٌ من المطرِ تهبطُ على عباءتهِ
وتعانقهُ
نومٌ ينتظرهُ فى الغرفةِ المجاورهِ
وخرائطُ تعترفُ له
خردلةٌ تكتبُ له مايشتهى من الأسماء
والزمنُ يبدو جالساً بين عينيه
كهمرةٍ تلد .

تعطنت حولهَ القرى

وفاضتْ به النوافذُ والمصاطبُ والحقول

أنسابتْ نحوهَ البيارقُ الملونه

وأخترقه الْمحملُ والنجوعُ تهذى خلفهَ

وتواطأت حولهَ الأذكارُ والمباخرُ المزركشه

جاءته المرأةُ التى ارتجفت على شفتيها النهارات

لتطلقَ بكارتَها عليه

وتملأ نهديها بحموضته

وتهللَ فى مغاراتِ الأفق .

تنبهتُ له

حين تناثرتُ أنا والحصى

فتركتُ له وجهى

وتركَ لى صوته المرمرى .

وجدتهُ ينتصبُ هوائى

مثلما ينتصبُ جوادُ جامح

فى قاعِ عينٍ سحرية .

وجدتُ له بريق النجمة

وعودةَ المقاتل .

تهيأتُ له
كما يتهيأ البحرُ للنوارس
همستُ فى مشارق الوجدِ وفى مغاربِ الأحصنة
وتتبعتُ ناراً توغلَت فى وريدى
هرولتُ خارجاً من فصولى ولغتى
وتدحرجتُ صوبَ صوتهِ المفتوح
وتماثيله الفارعه
وجدتُ منشوراً يخاطبُنى
وريحاً تتكحلُ بى
ودماء لا تتمهل فى طلبى
تحسستُ ريشهَ الطالعَ فى الرمال
وبقايا رعشته
وخرابه العفى .

إنفرطتْ هوامشى
أطلقتُ الليلَ على مرآتى
فتحتُ نافذتى لأسرابٍ من الفوضى
ونهضتُ من سريرى مرتجفاً
مثلما ينهضُ العشب
ليعانق غيمةً وحيده .

فبراير ١٩٨٧ م

شــاعر

وحيداً كان يكتبُ
ويتكلمُ
ويرسلُ رعشاته للجانب المعتم فى الغرفه
وحيداً كان يجففُ روحه التى بلّلها الندى
وثقبتها النهارات
كان غارقاً فى شروده كضباب
ومذبوحاً كفراش مهجور.

كنت أخرجُ منهُ ، كجزيرة تسلّلتْ من البحر
وأراقبهُ وهو ينضحُ ضوءاً وعرقاً وحزناً ورماداً
ويشعلُ ظلّه على الحائط
وتتلاشى رأسه مثل كرة من الدخان
كانت جروحه تنفتحُ فى أوراقه
مثل مدن يفتحها الغزاه
كان يبحثُ عن وطن يعرفه
وسيدةٍ تستبينُ له فى الهواء
تلقى نهديها على وسادته
وتتدفقُ فى عروقه جمراً وخمراً وطيوراً مهاجره .

هو الآن يملأُ عينيه بضوء الرمال
ويتركُ خيمتهَ فى سحاب القبيله
ويفتحُ رئتيه لفوضى السفر
هو الأن طفل مشّرد
جبل بعمر الفراشة
يداهمه الجنونُ الفذُ بين الحين والحين
فتصبحُ عينه اليمنى شموساً
ويعرف أن احتضارته الغائبة ستنسلّ من بين رأسه
وأن الهواءَ سيصرخُ بين يديه
وأن نساءً ستدفنُ فى حِقويه
وأن القصيدةَ لِن تستجيب لأحلامه الثائره .

اغسطس ١٩٨٨م

صباح

خرجتُ فى الصباح بدراجتى
أبعثرُ الندى
وأرقبُ اليرقات التى مازالت تتثاءب .

تسكعتُ حول امرأةٍ كانت رائحتُها تئن من حولى
وكان نهدها يلوّحُ للطيور .
وعند المزلقان المغلق
رفعتْ البنتُ المراهقةُ ضفيرتَها إلى السماء
لكى تبارزَ الجبل

ألقيتُ تحية الصباح على الفتاة التى فاجأها وجودى
كما يفاجىء النسيم
ورقةً تتزين .
على وجنتيها تمزقتْ بقعة العطر
وصهلٍ نهدها تجاهى . .
وجدتُ عينيها تسيران خلفى فى الشوارع
تستقدمُ نحوى الوعول
والنوارات التى أستيقظت جائعه .

كان الهواءُ الباردُ يتمزقُ حولى ويشهق
مثل فتاة تحتلم
وكانت الشوارع الجانبية تمشى نحو السوق والمحطات
وباعة الفول
وتنشر حَبْلَهَا السُرّى فى وجهى .
أبصرتُ تلميذاً يقضمُ تفاحةً فارغه
ويضعُ أنفه فى حقيبة المدرسة ، ويمضى
أبصرتُ عصافير تتكفنُ فى عينيه .

تفجّرتْ أمامى فقاعة من العشب
ورياح تحمل فى صرتها رائحة الخبز والطحالب
أشعلتُ سيجارتى الأولى ورأيتُ منفى يتألقُ نحوى
يتساقطُ فى وريدى كزهرةٍ منصهرة
فمشيتُ كالمجذوب من شارع إلى شارع
ومن حقل إلى سحابة
رأيتُ نوعاً من البهائم الزجاجية يتزاحمُ حولى
يرافقُ المومياوات والمستثمرين وقوات الأمن
وينشر سلاماً كاستسلام القواقع .

ترهل بى الوقت
تثاقلتْ حولى المنازل والقطارات
تبعثرتْ منى حروفاً كنت أرقبها وترقبنى
أدركتُ أن قمراً من المخاط الأزرق يستطيلُ داخلى
فتقلصتْ أمعائى على فضاء من الديدان
والحضارات الميته .

مارس ١٩٨٨

رجفـــة

أنتِ بعيدةٌ جداً
كقوسٍ هائلٍ من المحارات العاريه .

خرجتُ من أعضائى وحشاً ثملاً
أحملُ شبقاً مسنوناً كقوس قزح
وأريجاً نافذاً كالسيف
تعرّتْ الشمس فى عينىّ
واستسلمتْ لذكورتى الأشجار
واختبل بى الجبل .

تسللتُ في خياشيم الماء
حيث عُريكِ ينفتحُ كالتيه
ويتدّورُ كالزَهور المشتعله
ويسيلُ الليلُ من جدائلكِ المبتلّه
ويفرحُ من جسدكِ العشبَ .
كان ثدياكِ ينتفضانَ في ملوحة صدري
فأطلقُ غيلاني عليكِ
أغيّرُ خرائطَ عرقكِ وأجلدُ دمكِ بمارج ناري
أغوصُ بكاهلي في بئر دفئكِ
أتفجر فيكِ نجماً ثاقباً
وأتريضُ مسحوراً في ندى ناركِ .

أنتِ الآن قريبةٌ جداً
تلبَسين ظلّي
وتتفتتين في رائحتي
مثل ورقةٍ بردى خبيئه
تتهيأ للأَجوبه .

قنا ١٩٨٩

مشاعل لى ولها

تدقُ علىّ الساعات
كأوراق الموز الحامضة .

واجهتُ نفسى وهى تتمددُ فى جير الحائط
وتأخذُ تعرجاته المرتعشه
وتتسربُ بعيداً
عن جذع رجل حالم .

جانبتُ امرأةً لها سماتُ البرتقال المبتل
أتيتُ عليها كما يأتى الجبلُ الصباره
ونهضتُ مبتلاً بالصراخ
ودمى يتجشأ .

كيف ألقاكِ ؟
أيتها المرأة التى تزركشُ روحى
وتخلطُ دمها فى شروقى وغروبى
يا مؤنثة الظل والنور والنهايات
يا شرقاً امتلأ بغبار الأنوثه
كيف كنت أجهلُ أن لكِ هذا الجسد الممتلىء بالقسطل
والأعناب التى لها زئير ؟
يا جارية الفصول
وسيدة الأفق
ياعذاباً من الرق والعافيه
كيف كنت أجهلُ أن لكِ رماداً ملتهباً فى مطفأة
سجائرى ؟
وأقماراً تخرجُ فجأةً وتسيلُ على سريرى
لكِ بئر من الارتعاشات
لا تماثلها زخارف النسيم
ولاتدانيها حموضة الدخول فى كواكب جديده .

سمعتُ لها صوتاً تحمله السنابك والحصى
هديلاً يملأ صلبى
صراخاً يأتى من فم امرأة تحترقُ شمسها
حدّثتْ عنِ جوع يتلألأ
نهر يثقبُ جسدها ويمشى مقهوراً تحت النوافذ والنجوم
زهرة لايجفُ لها انتصاب
حدثُتها عنِ حزنٍ رائقٍ يخطفُ لبّى
وَجْدٍ يطلعُ من رأسى
لاهوتٍ يستجيبُ لى ويؤرقنى
مشاعلَ لى ولها .

سلامٌ أيتها المؤنثةُ التى تزاوجنى
ياعنقوداً من اللهب والروائح الملونة
تتوهجين فى رأسى وتستعمرين حدقتى
أسافرُ لكِ وأنتِ ظلّى
أتهجاكِ وأَنت قافيتى
أتوكأُ علَيكِ وأنتِ بئرى
يا بهية الأَركان
يا إنجيلاً يرقدُ فى وريدى .

سلامٌ أيتها المرأةُ التى افتقدتُها
منذ أن راهق وجهى
وفارقتنى غبطةُ الغلمان
والهواءُ المتوردُ حولى

قنا من ١٩٨٦ إلى سبتمبر ١٩٨٩

بئر شفيفة

بئرٌ شفيفةٌ تطلعُ من مفاتنكِ
يخرجُ من ضفافها حلمٌ قديمٌ كانفجار الدمع فى زهره
أو كرائحة المومياء فى جيب القرون
يخرجُ صارخًا مفضوحًا وخلفه العطشى من الأبر
والأشجار والسحب المضيئة .

كان وجهى قاب قوسٍ واحد عندما زمّلَ النهرُ نهديكِ
دخلتُ آهتكِ الأليمة وملأتُ أطرافىَ بالرجفة الزرقاء
تسلقتُ سَلالم روحك والذئابُ تطاردنى وتشقُّ المدى
وجعاً سيكبرُ
تحت جلدكِ وينهضُ كالمشانق من صديده
ألقيتُ سوراً من الألق الفضى حول وسادتكِ
رسمتُ صقراً طائراً فى دلتا نهديكِ
ويسملتُكِ بالسيوف .

بئر شفيفه ، يندفعُ الطوفان من همساتها
كانفجار الفجر فى عين الوليد
تنطلقُ الخيولُ من أسرارها تمزّقُ ريحهم الثقيلة –
مماليك وخصيان
وكهان ومرتزقة وجلادين –
سيسقطُ خلفكِ السورُ الحديدى المعبأ بالصليل
ويطلعُ نور ثدييكِ على القطن .

وسوف أدخلُ مخدعك
ألُمُّ عُريكَ فى جداولى وأجتاحُ صمتكِ بفحولتى
وأطلقُ ضفائركِ خبزاً ولبناً وعسلاً
وأغنى لطفلكِ عندما يهَبُ النهر حبله السُّرى
ويقذفُ الشمس بأسنانه اللبنيه
واشتهى فرحكِ الشعبى وتمائمكِ الجلدية وخمر عَرَقِ إبطيكَ
وسوف أربُ فى دمائك خيمتى وكتابتى
وأجعلُ لكِ عرساً من المزامير والندى
وعمراً منَ السحر والروافد .

قنا ١٩٨٩

يستلقى

على دفء الصدف

ها أنتَ ترحلُ مرة أخرى
عن المدن التى جعلتكَ تختصرُ
المسافة بين روحِك والنوارس
وتبرقُ كالرمال حين يفتحها هدير البحر
ويستبينُ عرشكَ المخفىّ
ويستحيلُ وجودُكَ الكونى جسراً
وارتعاشات مضيئة .

وردةٌ وقفتْ على شطيكَ
تبرعمُ الرملَ الذى اتسعتْ جدائله
وتطلقُ الموجَ فى شريانكَ النائم
وأنتَ تنظرُ فى ولَهٍ للنوافذ التى
تبدو كنهدٍ تمرغ فى الرمال
وتستعيدُ رائحة الفتاة التى خبأتْ فى ثوبها عينيكَ
وأشعلتْ نهديها فى كفيكَ
واختبلتْ بفوضاكَ البهية .

هاأنت تسبحُ فى فراغ الحلم
منتشياً بحزنكَ
صاحتْ الأعشابُ خلفك
وتكَسّرَ فى وريدكَ شبقٌ هاربٌ
تحدثتْ الصخورُ اليكَ
وأعشاشُ الطيور
والمدى المنثورُ خلفكَ
وبقايا موجةٍ
هل كنت تدرى أن إعصاراً سيقفزُ فى وريدكَ ؟
وأن الله خصّص لكَ قدراً غامضاً وروحاً ثائره ؟

وجهُكَ يلتهبُ كورده
ويصرخُ فى الأفق المهشم
حاملاً أبعاده الثكلى وضوءه المسحور .

يسقطُ نجمٌ من خريفكَ
وتدخلُ غيمةٌ عفنةٌ نوافذك المضيئه
أنتَ الذى فتحَ الجحيمُ له كتابته
وأحصيتَ امتدادات الشبق
ونمنمة السكون .

هل كنت تعرفُ أن روحكَ سوف تخدشها المدينة ؟
وأن مقبرة ستدخلُ فى سريركَ ،
وأن الحلم يهجرُ مقلتيكَ ،
ونوركَ جرحُ قاتل ،
هل كنت مأخوذاً برؤيتكَ الشفيفه،
وهى تبدو كالسراب المشتعل ؟

ها أنتَ ممشوقُ كإعصار
كأن الله لم يسحبْ سدولهُ من سمائكَ
ومقلوباً كبئر فى هواء قبيلتك المجعد
ومستبيناً فى رأسها المخمور مثل رصاصة
تدفقَ انتشاؤك مثل صخرة
أسماءُ ستطلعُ وسط قوس رجفتكَ
نهرُ سيفرغُ فى جحيمكَ مملكه
كتاباتُ ستكشفُ عن طلاسمكَ الدفينه
وأنتَ تخرجُ من تراثكَ النائم كالدم المسفوح
وتركضُ إلى خرائطكَ الجديده .

قنا مايو ١٩٨٩م

أخـذ ضـوءه

المرَيّش ورحل

إلى أم هاشـم حسـانين . . زوجتي

كيف تمضين أوقاتكِ الآن ؟
وبيننا آلاف الأميالِ من الرمالِ والأسماكِ والأعشاب
الجائعه
هل تسحبين وجهى تحت غطائكِ ، وتقبضين بحذرٍ على
شهوةٍ دخلتْ ثيابك ؟

هل ينتصب نهداكِ تحت قميصكِ الليلى ، وتشعرين
بتنميلٍ داعرٍ حول ردفيكِ ، ويضيىء جسدكِ ، ثم
تحسين تمدد الكون حولكِ ؟
هل ترقدين على اجترار فحولتى وتثقبين الليلَ بموائكِ
المشنوق ،
وتنثرين شوقكِ العارم على زجاج غرفتنا ؟
هل مازلتْ الشَعرةُ البيضاءُ فى رأسكِ تطلقُ نورَها فى
الليل ،
وتختبىء فى الصباح تحت طرحتكِ الملونة بزهراتٍ
وعصافير ومياهٍ بارده ؟

هل مازال « حسامُ » ينامُ جواركِ ويملأُ السريرَ
بابتساماته المستديره ، ثم يصحو طالباً « بابا » ؟
هل تغضبين الآن من« لبنى » و « حاتم » حين يفجّران
الهواءَ حولهما ،
ويختلفان على أدواتهما المدرسية ، أو من أجل قطةٍ قفزتْ
من كوكبٍ إلى آخر؟
وهل حقاً تشتاقين لى كما تشتاقُ مهرةٌ عاشقةٌ إلى
الركضِ بين السماواتِ السبع؟ .

أنا الآن أبدأ الليلَ وحيداً
كضريحٍ ملقى فى الظل
أنتظركِ عبرَ زجاج النافذة
فتأتين عاريةً كشجره
ثدياكِ يملآن البحر
تفتتين فوق سريرى أقماركِ المؤنثه
وتموئين مواءً عضلياً
فيدورُ دمى كفراشةٍ مشتعله
يتدفقُ خيولاً ، زهراتٍ من الفلفل
وترتعشُ أعضائى رعشةَ النمال
ويكادُ حوضى يَنفجرُ

فأغلقُ عينىّ حيث لا تأتينى يقظةً أو نوم
وتصعدُ ذاكرتى فى الثقوب المدوّرة
الخارجة من دخان سيجارتى
ومن فوضى الليل
حيث أستطيع أن أتبعكِ من غرفةٍ إلى غرفه
وأنتَ تغلقينَ النوافذ
وترتبينَ المناشفَ
وتغطينَ الأطفال
وتقتلينَ مرآةً صغيرةً على الحائط .

ماذا يقولون عنّى الآن ؟

هل يقولون : الآن يطفو كنافذة ،

ويخطفُ روحكِ الحبُلى بأقماره الزرقاء

ويعرفُ أوراقاً ستأتى خلفه

عَسساً وأسماكاً تباغته وتهرشُ روحه ؟

هل قيل وطأ روحه وهز كتفيه ومضى هازئاً ؟

قيل تجشأ ناراً

ودس فى عينيه قليولةً ما

امرأةً ما

أخذ ضوءه المريّش ورحل .

هل أُسمى نفسى القابض على جمرٍ النارِ
وأفتحُ باباً فى وريدى لتدخل غيمةٌ شرسةٌ وبغىٌ حنون ؟
هل أُسمى نفسى الشهقة المنفلتة من الجرح
وأفتح صياحاً لا يندمل ؟
هل يترصدنى العالمُ لأحرّف ذاكرتى ؟!
لقد قاتلتنى النهارات
قاتلتنى كتابتى وثورتى
قاتلتنى الشوارع
قاتلنى وجهى
أخوتى ورفاقى
وآخرون .

جدة ١٩٩١

عشـــاء

أيتها المرأةُ الحميمة

ماذا ستقدمين لى فى وجبةِ العشاء ؟

أدخلُ المطبخَ خلسةً

وأنثرُ على الطعام بعضَ شهواتٍ لنساءٍ عرفتهُن

واحتمالاتٍ مؤكدةٍ ، لمُتعٍ حسيةٍ باهره

سأُسرِّبُها فى حيواتكِ

أضعُ على المائدةِ شمعه

وموسيق هادئه

وأنظرُ فى عينيك مباشرةً
كرجلٍ يعثُر على شمسٍ مختبئةٍ فى منجمٍ للمعادن
وقد أقولُ : أحبُّكِ
أو أُلقِي نكتةً جنسيه
لأوقظَ الموج النائم فى عينيكِ
وعندما تنفلتُ شهقتُكِ الأولى
ترتبكُ الشمعه
وتختلجُ الموسيقى
ويتفكّكُ سريرُنا إلى فوطِ تواليت
وقميصِ نومٍ مهجور
وخُداديةٍ تئن
وغنجٍ يمزّقُ الجدار .

أبريل ١٩٩٤ .

مــراوغــة

مَن هذا الذى يراوغُنى ؟
يتركُ صرخةً حامضةً فى عينّى
وشغباً فى مرآتى
كلما واجهتُه فَّر منى
وتركنى صريعاً
كبقعة ضوءٍ سوداء
على فعلٍ فاضح .

مَن هذه التى تمُر سريعاً ؟
مثل ظلٍّ سيفٍ على رقبه
ولم تكن حتى الأمس
صديقةً أوكاهنه
هل كانت المرأةُ الصغيرةُ التى تغّنى بعد منتصف الليل
وتمزقُ سروالها بيدٍ خشنه
لرجلٍ لم تره أبداً .
أم كانت تلك المرأةُ التى تحملُ فى حقيبة يدها
خريطةً لشهواتها ٠
وأصابع روج جافه .
أم هذه التى تنامُ الآ ن فى سريرى
برداءٍ باهتٍ أَفرغَ بقايا رعشاته ،
ثم احتضنها كعاصفةٍ محايده .
من هذه التى مّرتْ سَريعاً
كحلم دهستهُ سيارةُ مسرعه
لحظة ولادته بالضبط.

جبل مريم

لماذا تنفجرين فجأةً كطائر الفينيق ؟
وكأن ثمانية عشر عاماً
ليست كافية لاغتيال امرأةٍ مثلك
فى ذاكرتى .

هل حقا لم أفهمها ؟
كامرأة تكبرنى بتسعِ سنوات
لها خبرة عقُاب
فى اصطياد الطيور البائسه .

لم تكن أبداً مثل بقية النساء
تتصنع الخجل
كان لها شوقُ عاصفةٍ وحنانُ غدير
ذات مرة ، ضبطتُ جبلَ مريم يحلم أن يكون نهداً لها
وسمعتُ بحيرةَ التمساح ترجوها بعض أسرار الأنوثة
ورأيتُ الشفق يختبىء بين فخذيها
مختبلاً بموقعه الجغرافى الجديد .
كان جنونُها الجنون
عندما تتحدثُ ، وتقبلّنى
يطيحِ بى كأحلام مجففه
وعندما تُطلِقُ أنوثتها فى جسدى
تنمنمُ النسيم بأنينٍ دافىء
وتصرخُ كنجمةٍ جائعه
وكأن سياط دى ليسبس
انهمرت دفعةً واحدةً
على جسدها العارى .

هل كانت أعضاؤها تبكى بالأمس ، أم كانت
تعلّق على الحائط صوراً ميتةً لشهواتها ؟
هل مزقَ نهدها غيمةً ، أم تراه الآن
يبصقُ جوعه فى برد غرفتها ؟
هل تترقبُ عودتى وانا أشــــدُّ ورائى نهراً مائلاً من
الأضواء ؟
هل مازالتْ تفتحُ النافذة ، فتخرجُ أسراباً من
القناديل وأحاديثاً دافئةً كأنها خرجتْ تواً من ثدى . .
إنها حقاً مؤامرة كاملة
ليس بها سنتيمتر واحد
من الغراء .

مايو ١٩٩٤

---

(١) جبل مريم يقع على قناة السويس بالاسماعيلية

هل نحفر لكَ بئراً
فى السماء . . . ؟

هـى استقلت
وتركت كل شـىء لك .

أنتَ طعنتَ شـحوبهَا برقّتكَ الشـبيهة بـحـجرٍ متّقد
وملأتَ أنفها برائحةِ كتبٍ فاضحه
وجعلتُها تدفنُ وجهَها فى الرصـيف المقابل
جوار ظلالٍ تائهه .

لماذا لم تأخذكَ بها شفقه
وكأنك جلادُ
يقتلعُ عين بئر !

وحتى أنتَ
ظللتَ تهذى بها عدة أيام
كافيةً لتحويل شمسكَ إلى فقاعةٍ بارده
تضعها فى حقيبتِكَ السوداء
المليئة بأوراق خائفه
ومسكنات طيبه
وأقلام جافة مزعجه .

حاولتَ أن تستخلصَ من قمامة ذاكراتك

مبررات صادقة لما حدث

دخنت سجائر بانجو

وشربت خمراً تكفى لقتل إشارات مرور مدينه

وطوّحت رأسكَ بين مجرتين

ربما تشاهد مرة أخرى

ذلك الرعب

وتلك الرغبة

عندما انفجرا معا من بطنها

وأنت تمزق شغبها الأنثوى المتواطىء

بذكورة تكفى

لتأنيث جبل .

وحتى بعد أن أقتنعتَ نفسك بتفسيراتٍ نفسيةٍ باهره
ربما تكون أنتَ الذى اخترعتها
فلماذا امتنعت عن الكلام والطعام
واكتفيت بالتدخين والصداع فقط
ومراودات أتخمتك بهذه الفتاة التى جعلتك تقفز من
نومك كلّ ليله
كمجنون يبحث فى السماء
عن سفينةٍ غارقة .

القاهرة ٢١/٨/١٩٩٤ م

فهرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع (١٠٦٧٨ / ٩٦) الترقيم الدولى (I.S.B.N. 977-235-693-7)

رئيس مجلس الإدارة

مهندس / إبراهيم السيد البهنساوى

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٢١٠٨ س ١٩٩٦ - ١٠١٣



قصائد الديوان ينساب فيها إيقاع داخلي كثيف يكتسب إيقاعيته من أسلوب الوقف والتبادل الموقعي بين الأصوات ، ويلتحم فيها تفرد المجازات بنسق الحكي بما له من طاقة درامية تتعاون كل صورة جزئية في خلق اكتمال الصورة الكلية ، ويسهم التكثيف في شحذ عنصر التوتر والوصول به إلى أعلى فاعلية وظيفية ممكنة .



